إنجيل يوحنا: رحلة الإيمان

كيف تقول لله «أحبك»؟

(١٢: ١–٨)

تأليف: بروس مكلارتي

كيف تقول لشخص ما «أحبك»؟ نفكر كثيرا ونحتار بالكيفية التي يجب أن نعبر بها عن حبنا للآخرين.

سألتُ في أحد الأيام طلبة الجامعة الذين أدرس معهم الكتاب المقدس كل مساء اربعاء كيف يعبر الناس عن محبتهم لبعضهم البعض. فأعطى الطلاب إجابات كثيرة. قالت إحدى الطالبات كيف اعتادت أمها أن تكتب تعبيرات رقيقة وتضعها في شنطة السندويشات التي كانت تأخذها إلى المدرسة. وحكى شاب آخر كيف كانت جدته تصنع تحفا يدوية وتبيعها، لكي تستطيع ان ترسله في رحلة تبشيرية صيفية، وأيضاً وصفت طالبة أخرى كيف باع أبوها بندقيته الثمينة لكي يشتري لها كتبها الجامعية لتلك السنة.

نرى بانه توجد طرق كثيرة للتعبير عن كلمة « احبك»، ولكن الشيء الأكثر أهمية هو كيف تقول لله «أحبك»؟ هذا سؤال قطعي، وأظن بان مريم قد أعطت له إجابه في نص درسنا هذا (١٢: ١–٨).

عطية مريم

بدأت أحداث هذه القصة قبل ستة أيام من عيد الفصح عند اليهود. وبهذا تكون هذه الأحداث في الأسبوع الأخير من حياة يسوع. تشير الأناجيل الأربعة إلى ان يسوع ترك الجليل للمرة الأخيرة واتجه نحو الجنوب إلى أورشليم. في هذه المرحلة كان قد عبر من أريحا حيث التقى مع زكا (لوقا ١٩: ١–١٠). كان الكل يعلم بان تلك الرحلة كانت خطيرة (١١: ٨)، وكان يسوع عالماً بانه ذاهب إلى أورشليم ليموت هناك.

وصل يسوع إلى بيت عنيا حيث تسكن مريم ومرثا ولعازر. وفي هذه المرة كان قد حضر دعوة للعشاء لإكرامه.[١] وقيل لنا بان لعازر كان من بين الحضور. تخيل قائمة بأسماء الضيوف في ذلك العشاء. شملت «لعازر الميت»، و«سمعان الأبرص»، وربما أيضاً «يعقوب الأعمى»، أو «يشوع الأعرج». ربما كان لكل شخص من الحاضرين قصة عن الكيفية التي غير بها يسوع حياته. كانت مرثا أخت لعازر التي تعمل بالجهد وتخدم الضيوف.

وفي اثناء العشاء جاءت مريم إلى يسوع. وكانت تُعرف بانها الأكثر عطفاً من اختها مرثا، وهي التي ارتمت عند قدمي يسوع وبكت عندما جاء يسوع إلى بيت عنيا مرة أخرى بعد موت أخوها. كان يسوع صديقاً مخلصاً لها، ومعلم رائع، وشافي عظيم – الإنسان الذي حوّل آلامها الشديدة إلى أفراح عظيمة. لا يمكن وصف شعورها نحوه في ذلك المساء. لقد كان عظيماً، وقدوساً، وحميماً – ولكنه كان في طريقه إلى أورشليم ليموت! قامت مريم بكل هذه الأفكار في قلبها ودهنت المخلص.

يقول يوحنا: «فأخذت مريم مناً من طيب ناردين خالص كثير الثمن ودهنت قدمي يسوع

[١] يقول إنجيلا متى ٢٦: ٦ ومرقس ١٤: ٣ بان هذه المناسبة كانت في بيت سمعان الأبرص.

ومسحت قدميه بشعرها. فامتلأ البيت من رائحة الطيب» (١٢: ٣). كان الناردين عطراً غالياً يوردونه من شمال الهند. وربما كان ذلك في قارورة مختومة مصنوعة من المرمر، مثل الرخام الصافي. ولكي يُفتح العطر كان يجب كسر عنق القارورة. لذلك وجب استخدام كل المحتويات. قال يوحنا بان القارورة التي سكبت مريم محتوياتها على قدمي يسوع كانت تحتوي على «مناً» أي «ثلث لتر»، يمكن استخدامه عادة لدهن عدد من رؤوس الضيوف في مناسبة خاصة. ولكن عوضاً عن ذلك سكبتها مريم كلها على قدمي يسوع ومسحتهما بشعرها. كانت هذه عطية رائعة من التي ارادت ان تعبر عن محبتها ليسوع.

هناك عدة ميزات تجعل عطية مريم فريدة. أولاً: كانت عطية مفرطة. اعترض يهوذا على ما قامت به مريم. مشيراً إلى انه كان يمكن ان يباع ذلك الطيب بثلاث مئة دينار، أي ما يعادل أجرة سنة كاملة للعامل العادي في ذلك الزمان (١٢: ٤ و٥). بما انه ليس من السهل تحويل المقادير المالية من وقت إلى آخر أو من مجتع ثقافي إلى أخر إلا انه يمكن للجميع ان يدركوا أهمية الأجرة لمدة سنة! هذه العطية السخية لم تعني شيئاً لمن هو بارد الفؤاد مثل يهوذا.

ثانياً: أعطت مريم عطيتها دون ان تفكر في نفسها. نعطي العطايا أحياناً ونحن نفكر في أنفسنا أكثر مما نفكر بالذين نقدم لهم العطية. قد نفكر: «هل يكفي هذا؟»؛ «هل سيحبونها؟»؛ «كيف سيفكرون عني؟» ولكن لم تكن أية من هذه الأفكار في ذهن مريم. بل كانت مهتمة فقط بيسوع وكيف كانت محبتها عظيمة نحو «المعلم». استرخاء شعرها يبين بانها لم تكن تفكر كثيراً في نفسها. لم تكن النساء اليهوديات في ذلك الزمان يتبعن مثل تلك العادة، ولكن يسوع كان كل شيء عندها.

ثالثاً: كانت عطية مريم موصوفة بالتواضع. لم تدهن رأس يسوع بل قدميه. لم تستخدم منشفة لمسح قدميه بل استخدمت شعرها. لم يكن الكبرياء مشكلة بالنسبة لمريم، كل ما في الأمر هو ان تعبر عن محبتها ليسوع.

أخيراً: كانت عطية مريم هي بالحقيقة قلبها وليست مجرد «ثلث لتر» من الناردين. أحياناً نهدي ورود وخواتم وملابس أو اموالاً لمن نحب. وفي كل حالة يكون الشيء الذي نعطيه رمزاً لشيء أعظم من العطية نفسها؛ ويدل على المحبة التي نحاول التعبير عنها. هكذا كان الحال أيضاً مع طيب مريم. كان الطيب طريقة معطرة لتقول ليسوع ولكل شخص آخر بانها تحب يسوع الناصري.

عطيتنا

ما الطريقة التي نعطي بها اليوم مثلما اعطت مريم؟ كيف نقول لله: «أحبك»؟ ما هو نوع العطية المناسبة لمثل هذه العلاقة؟ الأسفار المقدسة مليئة بأفكار عن العطية الرائعة!

نستطيع ان نبداء بتقديم قلوبنا. الوصية العظمى كما قال يسوع هي: «تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك» (متى ٢٢: ٣٧). توجهنا خبرة حياة روبرتسون مكويلكن استاذ الكتاب المقدس الذي كانت زوجته تعاني من مرض Alzheimer نحو ما يعني ان نعطي الله قلوبنا. كتب مكويلكن ما يلي:

> رتبت لجنة مدرسة اللاهوت لشخص ما لكي يبقى في المنزل حتى يتسنى لي ان اذهب إلى المكتب. خلال تلك السنتين اصبح من الصعب جداً ان تمكث موريل في البيت. فعندما كنت أخرج، كانت تخرج هي أيضاً بعدي. عندما تكون معي كانت قانعة، وبغيابي كانت تتضايق، وكان أحياناً يصيبها الفزع. كانت مسافة الطريق من والى المدرسة تعادل الميل. وكانت تذهب وتعود من المدرسة حوالي العشر مرات في اليوم.
>
> وأحياناً في الليل عندما اساعدها لتخلع ملابسها أرى الدم يسيل من قدميها، وعندما أخبرتُ طبيب الأسرة بذلك قال: «يا للمحبة». ثم أضاف بعد لحظة: «لدى نظرية بان الصفات التي تطورت على مر السنين تظهر في أوقات مثل هذه». ليتني أحببت الله بنفس الطريقة – أن أكون في حاجة شديدة إليه دائماً.[٢]

[٢] مقتبس من روبرتسون مكويلكن.

إحدى افضل الطرق التي يمكن ان يقول بها الشخص لله « أحبك » هي أن يقوله له مباشرة. نفعل هذا من خلال الصلاة، بالاخص عندما نجتمع معاً للعبادة. يعلمنا سفر المزامير كيف نعبر عن محبتنا للرب. نحن نقلد كاتب المزمور الذي قال: « أرفعك يا إلهي الملك وأبارك اسمك إلى الدهر والأبد. في كل يوم أباركك وأسبح اسمك إلى الدهر والأبد » (المزمور ١٤٥: ١ و٢).

خلال حرب عاصفة الصحراء مع العراق، قُتل طيار شاب اسمه سكوت سپايسر وترك وراءه زوجة وطفلين. وبعد أسابيع قليلة من موته، استلمت زوجته بعض الأشياء الخاصه به. ومن بين تلك الأشياء كانت رسالة كتبها قبل موته بيوم، ولم يتمكن من إرسالها. وكان قد كتب فيها شيء لكل من طفليه، وختمها قائلا لزوجته: « أنت مركز حياتي. وقد عشت معك برضى تام. ولكن إن متُه فيجب ان تتعلمي الحب مرة أخرى». أحياناً قد يكون الحديث عن المحبة أعظم عطية!

عندما نحب الآخرين تظهر محبتنا لله. محبة القريب كالنفس هي فكرة قدمت في العهد القديم، وكررها يسوع كالوصية الثانية العظمى.[٣] كما ان الزوج يعبر عن حبه لزوجته بان يحب أولادهما، هكذا أيضاً نعبر عن محبتنا لله بمحبتنا لأقربائنا البشر. نقول لله « أحبك » عن طريق محبتنا لبعضنا البعض.

تعلن الأسفار المقدسة أيضاً باننا قد نعبر عن محبتنا لله عن طريق ابلاغ الاخرين عنه. وقال يسوع بان هذا يسمى « اعتراف ».

> فكل من يعترف بي قدام الناس أعترف أنا أيضاً به قدام أبي الذي في السموات ولكن من ينكرني قدام الناس أنكره أنا أيضاً قدام أبي الذي في السموات (متى ١٠: ٣٢ و٣٣).

عندما نخبر الأخرين عن محبتنا لله يكون هذا طريقة أخرى نقول بها لله « أحبك ».

قد تكون أصعب طريقة نقول بها لله « أحبك » (والتي لا يمكن ان نتجنبها إن شئنا ان نحب الرب حقاً) هي ان نطيعه. كتب يوحنا قائلاً: « فإن هذه هي محبة الله أن نحفظ وصاياه. ووصاياه ليست ثقيلة » (١ يوحنا ٥: ٣). أحياناً يكون هذا ما لا يرغب الناس في سماعه. ولكن لا بد ان نطيعه لكي نرضيه.

الصعوبة التي نواجهها في طبيعة الطاعة الواضحة والعملية تظهر في القصة التالية عن رجل مع زوجته. أصيب الرجل بمرض شديد جداً، فذهبت زوجته في أحد الأيام إلى الطبيب لتبلغه عن وضع زوجها. وبينما كانا يتحدثان معاً، قال الطبيب للمرأة: « سيموت زوجك إن لم يجد ثلاثة وجبات من الغذاء الجيد كل يوم. وأيضاً لتخفيف الاجهاد يجب ان تكوني لطيفة وحنونة معه دائماً. وأخيراً بسبب قلة مقاومته للجراثيم يجب ان يكون البيت نظيفا ومرتبا دائما ». عندما عادت المرأة إلى البيت، كان الزوج متلهفاً لسماع ما قاله الطبيب. فقالت الزوجة: « يقول الطبيب بانك ستموت! » محبتنا لله هي أكثر من مجرد القول باننا نحبه؛ فهي تشمل على طاعته، كما ان محبة الوالدين، أو الزوج، أو الزوجة، أو الأولاد تشمل على أكثر من مجرد كلمات رائعة.

هنا بعض الطرق القليلة التي يمكن ان نقول بها لله « أحبك ». أتدري كيف يقول لنا الله « أحبكم »؟

عطية الله

بعد ما دهنت مريم يسوع وخرج بعد العشاء، توجه نحو أورشليم. عرف يسوع إلى أين كان ذاهباً وكان مدركاً تماماً ماذا كان يفعل.. لقد أدرك بان تلك كانت رحلته الأخيرة وبان قادة اليهود يريدون قتله. لم يكن موته صدفة. لأنه قال في وقت سابق:

> لهذا يحبني الآب لأني أضع نفسي لآخذها أيضاً. ليس أحد يأخذها مني بل أضعها أنا من ذاتي. لي سلطان ان أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً. هذه الوصية قبلتُها من أبي (يوحنا ١٠: ١٧ و١٨).

[٣] لاويين ١٩: ١٨؛ متى ٢٢: ٣٩.

شاء يسوع ان يترك بيت عنيا ليعطي العالم أعظم عطية قبلناها على الاطلاق! سيموت يسوع على الصليب بعد أيام قليلة فقط بسبب خطايا العالم. بما ان هبة مريم ليسوع كانت رائعة جداً، إلا انها تفقد رونقها عند مقارنتها مع ضخامة عطية بذل النفس على الصليب!

الخلاصة

بعد موت يسوع وُضِع جسده في قبرٍ قام منه في اليوم الثالث. وقدَ لخص بولس أهمية هذا الحدث عندما كتب بان يسوع « أُسلم من أجل خطايانا وأُقيم لأجل تبريرنا » (رومية ٤: ٢٥). يقول الله لنا بعدة طرق (وخاصة في موت يسوع ودفنه وقيامته): « أحبكم ». لقد عبر إنجيل يوحنا في وقت سابق عن هذه العلاقة عندما نقل يوحنا عن يسوع قوله: « لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » (يوحنا ٣: ١٦).

هل تحب الله؟ إن كنت تحبه، فكيف تعبر عن تلك المحبة ؟ ربما تحتاج إلى التعبير عن محبتك بالتحول عن الخطية وتعتمد في المسيح (أعمال ٢: ٣٨). أو قد تحتاج إلى التعبير عن محبتك بالرجوع إلى الإيمان الذي كنت قد اخترته ذات مرة، والذي ابتعدت عنه. ربما تحتاج إلى التعبير عن محبتك وتقول لله: « أحبك ». لقد فتحت مريم الطريق، فهل ستقول لله « أحبك »؟

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧